بسملة

الأَشْهُرُ الحُرُمُ، وَالأَمْنُ وَالسَّلامُ

■ الشيخ حسين كوراني

﴿.. اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا... مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُم..﴾ قرآن كريم

تَتَماهى حُرْمَةُ الزَّمانِ وَالمَكانِ، وَتَلْتَقي بِاحْتِرامِ جَميعِ الكائِناتِ وَحُرْمَتِها، لِتَصُبَّ الرَّوافِدُ الثَّلاثَةُ في بَحْرِ حُرْمَةِ الإِنْسانِ.

تَتَّسِعُ مِرْوَحَةُ هَذِهِ الحُرْمَةِ الهَدَف، لِتَسْتَوْعِبَ عالَمَ المَعْنى عَلى عَظيمِ سَعَتِهِ الأَرْحَبِ مِنَ الدُّنيا وَالآخِرَةِ. تَتَّصِلُ بِرِضْوانِ اللهِ تَعالى: ﴿..وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ..﴾ التّوبة:٧٢.

في هَذا السِّياقِ تَتَبَدّى حُرْمَةُ «إِقْليمِ المُلْكِ» الإِنْسانِيِّ، وَعالَمِ الظّاهِرِ واللَّفظ، بعضَ تَجَلّيات هذا المَخْزونِ الاسْتراتيجِيِّ – بَلِ الإِلَهِيِّ – في آفاقِ عالَمِ «المَلَكوتِ».

جَوْهَرَةُ الإِنْسانِيَّةِ، وَالفِطْرَةِ الأَصْفى، مِلاكُ الحُرْمَةِ وَالسِّرّ.

تَسْري حُرْمَةُ الإِنْسانِ من حَرَمِ عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ وَسَريرَتِهِ، إِلى حُرْمَةِ سوءِ الظَّنِّ بِهِ، فَحُرْمَةُ المَسِّ بِسوءٍ، فَإِثارَتِهِ، فَمَساءَتِه، فَالإِساءَةِ إِلَيْهِ، فَالأَذى، تَدَرُّجاً إِلى القَتْلِ فَالتَّمْثيلِ بِهِ.

قِوامُ هَذِهِ الحُرْمَةِ العَقْلُ. بِمِقْدارِ حُضورِهِ وَمُعافاتِهِ يَكونُ «الفِكْرُ».

لا حُرْمَةَ لِلْفِكْرِ إِلّا بِما رَشَحَ مِنْ حُرْمَةِ العَقْلِ.

لا حُرْمَةَ لِلإِنْسانِ إِلّا مِمّا رَشَحَ مِنَ العَقْلِ. لا حُرْمَةَ لِلْعَقْلِ إِلّا بِما عَقِلَ. قالَ الإِمامُ جَعْفَرٌ الصّادِقُ عليه السلام: «**لا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلاً إِلّا بِمَعْرِفَةٍ، وَلا مَعْرِفَةَ إِلّا بِعَمَلٍ، فَمَنْ عَرَفَ دَلَّتْهُ المَعْرِفَةُ عَلى العَمَلِ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ فَلا مَعْرِفَةَ لَهُ. أَلا إِنَّ الإِيمانَ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ**».

حُرْمَةُ الحَقِّ «المَعْقول» لُبُّ المِلاك، وَسِرُّ السِّرّ. تُحْفَظُ الحُرْمَةُ بِالعَمَل.

***

سَلامَةُ العَقْلِ وَحاكِمِيَّتُهُ، رَهْنُ الأَمْنِ وَالسَّلام. تَتَعاظَمُ مِرْوَحَتُهُما وَتَتَّسِعُ: مِنَ الأَمْنِ النَّفْسِيِّ وَرَحيقه السَّلام، إِلى الاجْتِماعِيِّ بِتَكَثُّرِ دَوائِرِه: مِنَ ﴿..الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ – القَريبِ – إِلى «**سائِرِ ما خَلَقْتَ وَمَنْ خَلَقْتَ مِن خَلْقِكَ الصّامِتِ وَالنّاطِق**». بَيْنَ الأَمْنِ النَّفْسِيِّ وَالسَّلامِ الفَرْدِيَّيْن، وَبَيْنَ الأَمْنِ وَالسَّلامِ العالَمِيَّيْنِ كُلُّ النَّسَبِ وَالسَّبَب.

شَوْبُ الباطِلِ إِخْلالٌ بِالأَمْنِ، يَخْدِشُ صَفْوَ السَّلام. شَوْبُ الباطِلِ طَيْفُ اعْتِداءٍ عَلى العَقْلِ. شُروعٌ بِكَسْرِ الحُرْمَةِ. «الغِيبَةُ» – ذِكْرُ الفَرْدِ بِما يَكْرَهُ – عُدْوانٌ عَلى الأَمْنِ النَّفْسِيِّ، لا يَنْفَصِلُ عَنِ الإِخْلالِ بِالسَّلامِ العالَمِيِّ.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يونس:٢٥.

دارُ السَّلامِ في الآخِرَةِ، باطِنُ دارِ السَّلامِ في الدُّنْيا. الاسْتِقامَةُ رِعايَةُ حَقِّ الحُرُماتِ. الدّينُ اسْتِقامَةٌ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هود:١١٢.

شَوْبُ الباطِلِ سَيِّئَةٌ. شَوْبُ الحَقِّ حَسَنَةٌ. السَّيِّئاتُ صَغائِرُ وَكَبائِرُ. لا تَكونُ الحَسَناتُ – بِرِعايَةِ حُرْمَةِ الحَقِّ – إِلّا كِباراً.

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

***

الدّينُ عَقْلٌ وَحُرْمَةٌ. العُمْرُ مَدْرَسَةُ إِعْمالِ العَقْلِ، وَالْتِزامِ ما يَعْقِلُ بِحِفْظِ حُرْمَتِه. شَوْبُ تَغْييبِ العَقْلِ ذَنْبٌ وَمَعْصِيَةٌ. الذَّنْبُ شُعْبَةٌ مِنَ الجُنونِ. يَبْقى أَدْواريّاً أَوْ يَسْتَشْري فَيُطْبِقُ. مِفْتاحُ تَغْييبِ العَقْلِ –الجُنون – كَسْرُ الحُرْمَةِ.

تَمَسُّ الحاجَةُ - إذاً - إلى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ حُرُمٍ، وَإلى إحْرامِ شَهْرِ رَمَضانَ - وَلَيْلَةِ القَدْرِ خاصَّةً - وَإحْرامِ الصَّلَواتِ الخَمْسِ، وَلَيْلَةِ الجُمُعَةِ - لَيْلَةِ قَدْرِ الأُسْبوعِ - وَإحْرامِ العَهْدِ وَاليَمينِ وَالنَّذْرِ، وَإحْرامِ ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ .. و﴿..لِيُنْذِرُوا﴾.. كُلُّ ذَلِكَ لِتَعْزيزِ ثَقافَةِ رِعايَةِ الحُرُماتِ وَجِهادِها الأَكْبَرِ، مَنْعاً لِتَسَلُّقِ شَوارِعِ الغَرائِزِ أَسْوارَ مَدْرَسَةِ العَقْلِ.

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ التّوبة:٣٦.

* في (جَوابات أَهْلِ المَوْصِل) **قالَ الشَّيْخُ المُفيدُ**: «إنَّ رَسولَ اللّه ﷺ قالَ: **إنَّ السَّنَةَ اثْنا عَشَرَ شَهْراً، مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: رَجَبٌ، وَذو القَعْدَةِ، وَذو الحِجَّةِ، وَمُحَرَّمٌ، ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ مُتواليات، وواحِدٌ فَرْدٌ. وَشَهْرُ رَمَضانَ مِنْها** [من الاثنَي عشر] **مَفْروضٌ فيهِ الصِّيامُ، فَصوموا لِلرُّؤْيَةِ، وَأَفْطِروا لِلرُّؤْيَةِ، فَإذا خَفِيَ الشَّهْرُ فَأَتِمّوا ثَلاثينَ يَوْماً**».

***

كَسْرُ الحُرْمَةِ في عالَمِ المَعْنى وَالمَلَكوتِ، هُوَ الأَخْطَرُ. لَيْسَ دَوِيُّ المَدافِعِ، وَهديرُ الطّائِراتِ - فَضْلاً عَنْ تَشَظّي الأَجْسادِ، وَلَعْلَعَةِ الرَّصاصِ - إلّا مُنَبِّهاً شَرْطِيّاً لِلْبَحْثِ عَمّا دَقَّ مِنَ الحُرْمَةِ، وَشَفَّ.

قَدْ يُؤَدّي التَّنَبُّهُ وَالتَّدْقيقُ إلى أَنَّ هَذِهِ المَعْرَكَةَ الضَّروسَ لِصالِحِ حِفْظِ الحُرُماتِ.

وَقَدْ يَكونُ المُنَبِّهُ الشَّرْطِيُّ كَلِمَةً. يوصِلُ تَدَبُّرُها إلى أَنَّ عالَمَ المَعْنى شَهِدَ بِسَبَبِها مَجْزَرَةً حَقيقِيَّةً في اجْتِياحِ الحُدودِ وَكَسْرِ الحُرُماتِ.

في الحَديثِ القُدْسِيِّ: «**مَنْ أَهانَ لي وَلِيّاً فَقَدْ أَرْصَدَ لِمُحارَبَتي**». في الحَديثِ الشَّريفِ: «**المُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنَ الكَعْبَةِ**». **قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه: «إيّاكُمْ وَالغيبَةَ فَإنَّ الغيبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزِّنا؛ إنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَزْني فَيَتوبُ، فَيَتوبُ اللهُ عَلَيْهِ، وَإنَّ صاحِبَ الغيبَةِ لا يُغْفَرُ لَهُ حَتّى يَغْفِرَ لَهُ صاحِبُهُ**».

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ إبراهيم:٢٤-٢٦.

***

لَيْسَتْ حَرَكَةُ عالَمِ المُلْكِ وَالظّاهِرِ مِلاكَ كَسْرِ الحُرْمَةِ أَوْ عَدَمِه. لَيْسَتْ - أَيْضاً - مِلاكَ دَرَجَةِ خُطورَةِ هَذا الكَسْرِ أَوْ عَدَمِه. عالَمُ المِلاكِ عالَمُ المَعْنى لا عالَمُ الظّاهِرِ. المِلاكُ، الجُرْأَةُ عَلى الحَقِّ. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ لقمان:٣٠.

قالَ سَيِّدُ العُلَماءِ المُراقِبينَ، السَّيِّدُ ابْنُ طاوس: «وَاعْلَمْ أَنَّهُ إذا كانَتِ الأَشْهُرُ الحُرُمُ قَدِ اقْتَضَتْ في الجاهِلِيَّةِ وَالإسْلامِ تَرْكَ الحُروبِ وَالسُّكونَ عَنِ الفِعْلِ الحَرامِ، فَكَيْفَ تَحْتَمِلُ هَذِهِ الشُّهورُ أَنْ تَقَعَ مُحارَبَةٌ بَيْنَ العَبْدِ وَمالِكِهِ في شَيْءٍ مِنَ الأُمورِ، وَكَيْفَ يَعْظُمُ وُقوعُ المَحارِمِ بَيْنَ عَبْدٍ وَعَبْدٍ مِثْلِهِ، وَلا يَعْظُمُ أَضْعافُ ذَلِكَ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ مالِكِ أَمْرِهِ كُلِّهِ، فَالحَذَرَ الحَذَرَ مِنَ التَّهَوينِ بِاللهِ في هَذِهِ الأَوْقاتِ المُحَرَّمَةِ، وَأَنْ يَهْتِكَ العَبْدُ شَيْئاً مِنْ شُهورِها المُعَظَّمَةِ».

الفِقْهُ، وَالعِلْمُ، ثَقافَةُ قانونِ حِفْظِ الحُرُماتِ، وَالضَّلالُ البَعيدُ، تَجاوُزُ حُدودِ هَذِهِ الحُرُماتِ.

الأَشْهُرُ الحُرُمُ، مَوْسِمُ هَذِهِ الثَّقافَةِ الأَبْرَزُ. لَيْسَ لِأَحَدٍ حَقُّ اسْتِبْدالِ حَتّى التَّوْقيت، وَلَوْ بِتَأْخيرِ بَعْضِ هَذِهِ المَفاصِلِ الأَرْبَعَةِ.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ التّوبة:٣٧. [النَّسيءُ: تأخير بعض الأشهر الحرم إلى غيرها من الشّهور]